بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب فى الدين

الحمد لله الذى خلقنا فأكمل خلقنا، وأدبنا فأحسن أدَبنا، وشرفنا بنبيه محمد ﷺ فأحسن تشريفنا؛ ثم أقول وبالله التوفيق:

إن أكمل الأخلاق وأعلاها، وأحسن الأفعال وأبهاها، هو الأدب فى الدين، وما يقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين، وأخلاق النبيين والمرسلين. وقد أدبنا الله تعالى فى القرآن بما أرانا فيه من البيان، وأدبنا بنبيه محمد ﷺ فى السنَّة بما أوجب علينا، فله المنة، وكذلك بالصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم؛ وذلك جليل خطره، كثير عدده، نذكر بعضه، لئلا يطول شرحه فيعسر فهمه.

الآداب بين يدى الله تعالى

أدَب المؤمن بَين يدَى الله تعَالى

إطراق الطرف، وجمع الهم، ودوام الصمت، وسكون الجوارح، ومبادرة امتثال الأوامر، واجتناب المناهى، وقلة الاعتراض، وحسن الخلق، ودوام الذكر، وتنزيه الفكر، وتقييد الجوارح، وسكون القلب، وتعظيم الرب، وقلة الغضب، وكتمان الحب، ودوام

الإخلاص، وترك النظر إلى الأشخاص، وإيثار الحق، واليأس من جميع الخلق، وإخلاص العمل، وصدق القول، وتنزيه الاطلاع، وإحياء القربات، وقلة الإشارة، وكتمان الفائدة، والغيرة على تبديل الاسم. والغضب عند انتهاك المحارم، ودوام الهيبة، واستشعار الحياء، واستعمال الخوف، والسكون ثقة بالضمان، والتوكل معرفة بحسن الاختيار، وإسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وارتعاش القلب خوف فوت الفرض، ودوام التوبة خوف الإصرار، ودوام التصديق بما غاب، ووجل القلب عند الذكر، وزيادة الأنوار عند الوعظ، واستشعار التوكل عند الفاقة، وإخراج الصدقة من غير بخل مع الإمكان.

آداب العالم

لزوم العلم، والعمل بالعلم، ودوام الوقار، ومنع التكبر وترك الدعاء به، والرفق بالمتعلم، والتأنى بالمتعجرف، وإصلاح المسألة للبليد، وبرك الأنفة من قول لا أدرى، وتكون همته عند السؤال خلاصة من السائل لإخلاص السائل، وترك التكلف، واستماع الحجة والقبول لها وإن كانت من الخصم.

آداب المتعلم مع العالم

يبدؤه بالسلام، ويقل بين يديه الكلام، ويقوم له إذا قام، ولا يقول له: قال فلان خلاف ما قلت، ولا يسأل جليسه فى مجلسه، ولا يبتسم عند مخاطبته، ولا يشير عليه بخلاف رأيه، ولا يأخذ بثوبه إذا قام، ولا يستفهمه عن مسألة فى طريقه حتى يبلغ إلى منزله، ولا يكثر عليه عند ملله.

آداب المقرىء

يجلس جلسة الخشية، واستماع الأمر، وإنْصات الفهم، وانتظار الرحمة، والإصغاء إلى المتشابه وإشارة الوقف، وتعريف الابتداء، وبيان الهمزة، وتعليم العدد، وتجويد الحرف، وفائدة الخاتم، والرفق بالبادى، والسؤال عن المتعلم إذا غاب، والحث له إذا حضر، وترك الحديث، ويبدأ بالمتلقن يلقنه ما يصلى به لنفسه، أو احتاج إلى أن يؤم غيره.

آداب القارىء

يجلس بين يديه جلسة التواضع، وجمع الفهم، وخفض الرأس، والاستئذان قبل القراءة، ثم الاستعاذة والتسمية، والدعاء عند الفراغ.

آداب معلم الصبيان

يبدأ بصلاح نفسه؛ فإن أعينهم إليه ناظرة، وآذانهم إليه مصغية، فما استحسنه فهو عندهم الحسن، وما استقبحه فهو عندهم القبيح، ويلزم الصمت فى جلسته، والشزر فى نظره، ويكون معظم تأديبه بالرهبة، ولا يكثر الضرب والتعذيب، ولايحادثهم فيجترئوا عليه، ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه، ولا يمازح بين أيديهم أحدًا! ويتنزه عما يعطونه، ويتورع عما بين يديه يطرحونه، ويمنعهم من التحريش، ويكفهم من التفتيش، ويقبح عندهم الغيبة، ويوحش عندهم الكذب والنميمة، ولا يسألهم عن أمر ينوبهم فيثقلوه، ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه، ويعلمهم الطهارة والصلاة، ويعرفهم بما يلحقُهم من النجاسة.

آداب المحدث

يقصد الصدق، ويجتنب الكذب، ويحدث بالمشهور، ويروى عن الثقات، ويترك المناكير ولا يذكر ماجرى بين السلف، ويعرف الزمان، ويتحفظ من الزلل والتصحيف واللَّحن والتحريف، ويدع المداعبة، ويقل المشاغبة، ويشكر النعمة؛ إذ جعل فى درجة الرسول ﷺ، ويلزم التواضع، ويكون معظم ما يحدث به ما ينتفع المسلمون به من فرائضهم وسننهم وآدابهم فى معانى كتاب ربهم عز وجل. ولا يحمل علمه إلى الوزراء، ولا يغشى أبواب الأمراء؛ فإن ذلك يزرى بالعلماء، ويذهب بهاء علمهم إذا حملوه إلى ملوكهم ومياسيرهم، ولا يحدث بما لا يعلمه فى أصله، ولا يقرأ عليه ما لا يراه فى كتابه، ولا يتحده إذا قرئ عليه، ويحذر أن يدخل حديثًا فى حديث.

آداب طالب الحديث

يكتب المشهور ولايكتب الغريب، ولا يكتب المناكير، ويكتب عن الثقات، ولا يغلبه شهرة الحديث على قرينه ولا يشغله طلبه عن مروءته وصلاته؛ يجتنب الغيبة، وينصت للسماع، ويلزم الصمت بين يدى محدثه، ويكثر التلفت عند إصلاح نسخته، ولا يقول: سمعت، وهو ما سمع، ولا ينشره لطلب العلوّ فيكتب من غير ثقة، ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين، ولا يكتب عمن لا يعرف الحديث من الصالحين.

آداب الكاتب

حسن الخط، وجودة البرى، وإعراب اللفظ ومعرفة الحساب، وسداد الرأى، وحسن

اللباس، وطيب الرائحة، والمعرفة بأخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين، والتخوف من المصادرات، والعلم بأمر الخراج، والمسامحة والخبرة فى السدادات، وترك الانخرام والتنزه عن الحرام، واستعمال المروءة وحسن العِشرة والتحفظ عن الذّلة، وترك الرفْث فى المجالس، ونفى المداعبة والمحادثة والمداراة للحاشية.

آداب الواعظ

ترك التكبر، ودوام الحياء من سيده وإظهار الفاقة إلى خالقه، وشهوة المنفعة لمستمعه، والإزراء على نفسه لمعرفة عيبه، والنظر إلى المستمعين إليه بعين السلامة، وحسن الظن بهم بباطن الديانة، والإياس منهم طلبًا للصيانة، والرفق بالتأديب، والعطف على المبتدىء، واعتقاد فعل ما يقول؛ لينتفع النَّاس بما يقُول.

آداب المستمع

إظهار الخشوع، ودوام الخضوع، وسلامة الصدر، وحسن الظن، واعتقاد القول، ودوام السكوت، وقلة التقلب، وجمع الهم، وترك التهمة.

آداب الناسك

يكون وقته معلومًا، ووِرده مفهومًا، وكلامه مقسومًا، ودمعه مسجومًا، دائمًا خشوعه، لازمًا خضوعه، غاضًّا لطرفه، عاقًّا لقلبه، مفكرًا فى دينه، مراقبًا لوقته، مداومًا لصومه، ساهرًا فى ليله، متورعًا فى مسكنه، متقللاً فى مطعمه ومشربه، متوقعًا لنزول أجله، مجانبًا لقرنائه، تاركًا لشهواته، محافظًا على صلواته، عالمًا بزيادة حاله ونقصانه، لا يحتاج إلى علم غيره مع علمه بحاله.

آداب اعتزال الناس

يكون فقيهًا فى دينه، عارفًا بأمر صلاته وصيامه وزكاته وحجه، يعتقد فى اعتزالهم دفع شره عنهم، ويحضر الجمع والجماعات، ويشهد الجنائز، ويعود المرضى؛ ولا يخوض فى حديثهم، ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم؛ ولا يطمع نفسه فى نَائلهم، حتى لا يكون له حاجة إلى جيرانه؛ تكون أوقاته ثلاثة: إما أن يصلى ويدرس فيغنم، أو ينظر فى كتبه فيتعلم، أو ينام فيسلم. يدمن الذكر، ويكثر الشكر حتى يتم له الأمر، فإنّ كان له أهل يتحدث معهم، ،ويجتهد فى خلوته حتى يرى ميزان عزلته.

آداب الصوفى

قلة الإشارة، وترك الشطح فى العبارة، والتمسك بعلم الشريعة، ودَوام الكد، واستعمال الجد، والاستيحاش من الناس، وترك الشهرة فى اللباس، وإظهار التجمل، واستشعار التوكل، واختيار الفقر، ودوام الذكر، وكتمان المحبة، وحسن العشرة فى الصحبة، والغض عن المردان وترك مؤاخاة النسوان، ودوام درس القرآن.

آداب الشريف

يصون شرفه، ولايأكل بِنَسَبِه؛ ولا يتعدى بِحَسَبِه، همته التواضع لربه، والخوف من سيده، ويأخذ بالفضل على من دونه، ولا يساوى من هو مثله. يعرف الفضل لأهل العلم وإن كان مثلهم فى العلم أو أعلم، يلازم أهل الدين من أهل الفقه والقرآن، ويهذب أخلاقه، ويتحفظ فى ألفاظه عند غضبه وخطابه، يكرم جلساءه، ويواصل إخوانه، ويصون أقاربه، ويعين جيرانه، ويزين بنفسه أخدانه.

آداب النوم

يتطهر قبل النوم، وينام على يمينه، ويذكر الله عز وجل حتى يأخذه النوم، ويدعو إذا استيقظ، ويحمد الله تعالى.

آداب التهجد

تقليل الغذاء، ونقصان الماء، وإصلاح النهار باجتناب الغيبة والكذب واللغو، وترك النظر فى المحرمات، والقيام من النوم بفزع وخوف، وإسباغ الوضوء، والنظر فى ملكوت السماوات، والدعاء والحضور فى الصلاة لفهم التلاوة.

آداب الخلاء

التسمية ثم الاستعاذة قبل الدخول، وكشف الثوب برفق بعد قربه من الأرض، ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء مع الغسل، والاستتار قبل الخروج، والحمد والشكر بعد الخروج.

آداب الحمام

ستر العورة، وغض البصر عن العورات، وطلب الخلوة، وترك التكلم، وقلة

التلفت، ومنع السلام، وقلة الجلوس، وغسل الجنابة من قبل الدخول، وغسل القدمين إذا خرج بالماء البارد فإنه يذهب الصداع.

آداب الوضوء

السواك ودوام الذكر مع الغسل، واستشعار الهيبة ممن يقصد والتوبة مما كان، والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل فى الصلاة، والطهارة فى إثر الطهارة وأخذ الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، وتقليم الأظافر، والاختتان وغسل البراجم، وتعاهد الأنف، ونظافة الثوب والبدن.

آداب دخول المسجد

يبدأ باليمنى، ويزيل ما فى نعله من الأذى، ويذكر اسم الله عز وجل، ويسلم على من حضر، فإن كان خاليًا سلم على نفسه، ويسأل الله تعالى أن يفتح له أبواب رحمته، ويجلس فى مواجهة القبلة، ويلزم المراقبة، ويقل المخاطبة، ويترك الملاعنة، ولا يرفع فيه صوته، ولا يشهر فيه سيفه، ويمسك بنصال نبله، ولا يصنع صنعة، ولا ينشد ضالة، ولا يبايع ولا يشارى ولا يجامع، فإذا انصرف بدأ باليسرى، وسأل الله تعالى من فضله ما يعطى.

آداب الاعتكاف

دوام الذكر، وجمع الهم، وترك الحديث، ولزوم الموضع، وترك التنقلات، وحبس النفس عن مرادها، ومنعها فى محابها، وجبرها على طاعة الله عز وجل.

آداب الأذان

يكون المؤذن عارفًا بوقته فى الصيف وفى الشتاء، غاضًا لطرفه عند صعوده المنارة، ويلتفت فى أذانه عند النداء بالصلاة والفلاح. ويرتل الأذان، ويتحدر فى الإقامة.

آداب الإمام

يكون عارفًا بالصلاة وفرائضها وسننها، فقيهًا بما يحدث له فى صلاته وما يفسدها، ولا يؤم قومًا وهم له كارهون، يجعل من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف، ويشير إليهم بلطف، ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا، ولايطيل التسبيح فيملّوا، ولا يخفف

بحيث يفوت الكمال، بل يرتب الصلاة على قدر قوة ضَعَفَتهم، ويترفق فى ركوعه وسجوده حتى يطمئنوا، ويسكت سكتة قبل الحمد وبعد الحمد وإذا فرغ من السورة، وينتظر فى ركوعه من أحس به ما لم يجحف بمن ورائه، وينتظر قبل الصلاة من فقد من جيرانه ما لم يخف فَوْت وقته، ويفرق بين التسليمتين بوقفة خفيفة، وإذا فرغ نظر إلى ستر الله ومنته، وازداد شكرًا لسيده، وأدام له فى كل حالاته الذكر.

آداب الصلاة

خفض الجناح، ولزوم الخشوع، وإظهار التذليل، وحضور القلب، ونفى الوساوس، وترك التقلب ظاهرًا وباطنًا، وهدوء الجوارح، وإطراق الطرف، ووضع اليمين على الشمال والتفكر فى التلاوة، والتكبير بالهيبة، والركوع بالخضوع، والسجود بالخشوع، والتسبيح بالتعظيم، والتشهد بالمشاهدة، والتسليم بالإشفاق، والانصراف بالخوف، والسعى بطلب الرضاء.

آداب القراءة

مداومة الوقار والحياء، ومجانبة العبث والخناء، ولزوم التواضع والبكاء.

آداب الدعاء

خشوع القلب، وجمع الهم، وإظهار الذل، وحسن النظر، وخفض الجناح، وسؤال الفاقة، ولجأ الغريق، ومعرفته بقدر نفسه، وعظيم حرمة المسئول، وبسط الكف عند الرغبة، واليقين بالإجابة والخوف من الخيبة، وانتظار الفرج، وترك العدوان، وصحة القصد واللجإ، ومسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء.

آداب الجمعة

التأهب للوقت قبل دخوله، والطهارة عند حضوره والبكور، وغسل الجسد ونظافة الثوب، وطيب الرائحة، وترك التخطى، وقلة الكلام، ودوام الذكر، والقرب من الإمام، والإنصات للخطيب، والانتشار لطلب العلم، والمشى بالسكينة والوقار، وترك تشبيك الأصابع، وتقارب الخطى، ودوام الإطراق، وكثرة الشكر للرزاق، ودخول المسجد بالخشوع، ورد السلام، وترك الصلاة بعد جلوس الخطيب على المنبر. ورد السلام عليه بعد إشارته، وترك الكلام، واعتقاد القبول للموعظة، وترك الالتفات عند إقباله ومخاطبته، وترك القيام إلى الصلاة حتى ينزل من المنبر ويفرغ المؤذن من الإقامة.

آداب الخطيب

. يأتي المسجد وعليه السكينة والوقار. ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة. ويمتنع عن التخاطب، وينتظر الوقت؛ ثم يخطو إلى المنبر وعليه الوقار، كأنه يحب أن يعرض ما يقول على الجبار. ثم يصعد للخشوع، ويقف على المرقاة بالخشوع ويرتقى بالذكر، ويلتفت إلى مستمعيه باجتماع الفكر، ثم يشير إليهم بالسلام ليستمعوا منه الكلام، ثم يجلس للأذان فزعًا من الديان، ثم يخطب بالتواضع، ولا يشير بالأصابع، ويعتقد ما يقوله لينتفع به، ثم يشير إليهم بالدعاء، وينزل إذا أخذ المؤذن فى الإقامة، ولا يكبر حتى يسكتوا، ثم يفتتح الصلاة، ويرتل ما يقرأ.

آداب العيد

إحياء ليلته والاغتسال فى صبيحة يومه؛ ونظافة البدن، وطيب الرائحة، وإدامة التكبير، وكثرة الذكر، واستعمال الخشوع، والتسبيح والحمد بين تضاعف التكبير، والإنصات للخطبة بعد الصلاة، وأكل اليسير قبل الخروج إن كان فطراً، والذهاب فى طريق والرجوع فى أخرى، والانصراف بالإشفاق خوف الغيبة.

آداب الخسوف

دوام الفزع، وإظهار الجزع، ومبادرة التوبة، وترك الملل، وسرعة القيام إلى الصلاة،وطول القيام فيها، واستشعار الحذر.

آداب الاستسقاء

الصيام قبله، وتقديم التوبة، ورد المظالم، وبذل الهمة، وترك المخافرة والاغتسال قبل الخروج، ودوام الصمت ورؤية الحال التى أوجبت المنع، والاعتراف بالذنب الذى نزلت به العقوبة، واعتقاد ترك العود، والإنصات للخطبة، والتسبيح بين التكبير، وكثرة الاستغفار وتحويل الإزار مع الدعاء.

آداب المريض

الإكثار من ذكر الموت، والاستعداد له بالتوبة، ودوام الحمد والثناء لله واستعمال التضرع والدعاء، وإظهار العجز والفاقة، والتداوى مع الاستعانة بخالق الدواء، وإظهار الشكر عند القوة، وقلة الشكوى، وإكرام الجلساء، وترك المصافحة.

آداب المعزّى

خفض الجناح، وإظهار الحزن، وقلة الحديث، وترك التبسم فإنه يورث الحقد.

آداب المشى فى الجنازة

دوام الخشوع، وغض البصر، وترك الحديث، وملاحظة الميت بالاعتبار، والتفكر فيما يجيب به من السؤال، والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة، وخوف حسرة الفوت عند هجوم الموت.

آداب المتصدق

ينبغى له أداؤها قبل المسألة، وإخفاء الصدقة عند العطاء، وكتمانها بعد العطاء، والرفق بالسائل، ولا يبدؤه برد الجواب، ويرد عليه بالوسوسة فى الوسوسة، ويمنع نفسه البخل، ويعطيه ما سأل أو يرده ردًّا جميلاً، فإن عارضه العدو إبليس لعنه الله أن السائل ليس يستحق، فلا يرجع بما أنعم الله به عليه، بل هو مستحق لها.

آداب السائل

يبدى الفاقة بصدق الحقيقة، ويظهر السؤال بلطافة القول، ويأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر، وإن قل، وحسن الدعاء، فإن رد عليه رجع بجميل قبول العذر، وترك المعاودة والإلحاح.

آداب الغنى

لزوم التواضع، ونفى التكبر، ودوام الشكر، والتوصل إلى أعمال البر، والبشاشة بالفقير والإقبال عليه، ورد السلام على كل أحد، وإظهار الكفاية، ولطافة الكلمة، وطيب المؤانسة، والمساعدة على الخيرات .

آداب الفقير

لزوم القناعة، وكتمان الفاقة، وترك البذالة والتضعضع، وإلقاء الطمع، وإيثار الصيانة، وإظهار الكفاية لأهل المروءة من أهل الديانة، وإجلال الأغنياء مع قلة الاستبشار لهم، وإظهار الكفاية لهم مع الإياس منهم، وترك الكبر عليهم، مع نفى التذلل وحفظ القلب عند رؤيتهم، والتمسك بالدين عند مشاهدتهم.

آداب المُهْدِي

ـ رؤية الفضل للمهدَى إليه، وإظهار السرور بالقبول منه لها، والشكر عند رؤية المهدى إليه، والاستقلال لها وإن كثرت.

آداب المهدَى إليه

إظهار السرور بها وإن قلت، والدعاء لصاحبها إذا غاب. والبشاشة إذا حضر، والمكافأة إذا قدر، والثناء عليه إذا أمكن، وترك الخضوع له، والتحفظ من ذهاب الدين معه، ونفى الطمع معه ثانيًا.

آداب اصطناع المعروف

البداءة به قبل السؤال، والمبادرة به عند الوعد، والتوفير له عند العطاء، والستر له بعد الأخذ، وترك المنة بعد القبول، والمداومة على اصطناعه، والحذر من انقطاعه.

آداب الصيام

طيب الغذاء، وترك المراء، ومجانبة الغيبة، ورفض الكذب، وترك الأذى، وصون الجوارح عن القبائح.

آداب الحج

آداب الطريق

طيب النفقة، والإحسان إلى المكارى، ومعاونة الرفقة والرفق بالمنقطع، وبذل الزاد، وحسن الخلق ، وطيب الكلمة، والمزاح من غير معصية، واختيار التعديل، والاستبشار به عند رؤيته، والإصغاء عند محادثته، وقلة المماراة له عند ضجره، والتغافل عن زلته، والشكر له عند خدمته، والتوصل إلى إيثاره ومساعدته.

آداب الإحرام

غسل الجسد، ونظافة الإزارين، وطيب الرائحة، وتعاهد الجياع، والتلبية بالهيبة، ورفع الصوت بحلاوة الإجابة، والطواف بتعظيم الحرمة، والسعى بطلب الرضاء، والوقوف بمشاهد القيامة، وشهود المشعر برؤية الرحمة والحلق برؤية العتق، والذبح برؤية الكفارة، والرمى برؤية الطاعة، وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد، والرد بحقيقة الأسف، والانصراف بمحبة الرجوع.

آداب دخول مكة

دخول الحرم بالتعظيم، والنظر إلى مكة بالتحسر، ورؤية المسجد بالتفضيل، وتظر البيت بالتكبير والتهليل، ودوام الطواف، ومواصلة العمرة، ودخول البيت بتعظيم الحرمة، ودوام التوبة بعد دخوله.

آداب دخول المدينة

يدخلها بالوقار مع السكينة، والمشاهدة لما كان فيها من الشريعة، والنظر إليها بالعين الرفيعة، ثم يأتى مسجد الرسول ﷺ ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطبته، ثم يأتى قبره وكأنه ناظر إلى شخصه الكريم، ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرته كأنه معاين لجلسته، فيبدؤه بالسلام، ثم يسلم على ضجيعيه، ويشاهد محبتهما له، ومشيته بينهما، وإقباله عليهما، ويعاين هيبتهما له وإقبالهما عليه، وإذا ودَّع القبر فلا يوليه الظهر.

آداب التاجر

لا يجلس فى طريق المسلمين فيضيق عليهم، ويستعمل غلامًا كيسًا لا يبخس فى كيله، ولا ينقص فى وزنه، يأمره بالرجحان، وترك العجلة فى الميزان، يكون ميزان دراهمه فى حدته كالطيار، ومن اعتداله كالمعيار، طويلة خيوطه دقيقة ذوائبه، معبرة صنجاته، معتدلة حباته، يبتدئ كل يوم بمسح ميزانه، ويتعاهد نقص أرطاله وصنجاته، يأمر غلامه بالتوقف فى كليه الأدهان، وإذا وقف عليه شريف أكرمه، أو جار فضله، أو ضعيف رحمه، أو غير هؤلاء أنصفه، يبيع على قدر أسعاره، إن نقص سعره زاد زبونه، كما إنه إن زاد سعره نقص زبونه.

وتكون همته فى جلوسه درس القرآن، وغض الطرف عن المحارم والغلمان، يشترى عرضه باليسير من سفيه يقف عليه، ولا يرد السائل، ولا يمنع البشر من النائل.

فإن كان هو المتولى لأمره كان مايلزم غلامه هو أولى به، ويشترى الأرطال والصنجات والمكيال من الثقات معبرات، ويترك المدح للسلعة عند البيع، والذم لها عند الشراء، ويلزم الصدق عند الإخبار، ويحذر الفحش عند المزايدة، والكذب عند المحادثة، ويقل الخوض مع أهل الأسواق، ومداعبة الأحداث ويقصر فى الخصومات.

آداب الصيرفى

يعتقد الصحة، ويؤدى الأمانة، ويحذر الربا، ويقرب النسيئة، ولا ينفق الرديئة، ويوفى الوزن، ولا يعتقد الغش والغبن، متفقدًا لمعياره، خائفًا من نقصان صنجاته ومثاقيله.

آداب الصائغ

استعمال النصيحة، والاجتهاد فى الجودة، وقلة المطل، ووفاء الوعد، وترك التعدى فى الأجرة.

آداب الأكل

غسل اليدين قبل الطعام وبعده، والتسمية، والأكل باليمين ومما يليه، ويصغر اللقمة، وإجادة المضغ، وقلة النظر إلى وجوه الحاضرين، ولا يأكل متكئًا ولا يأكل فوق الشبع عند الجوع، ويعتذر إذا شبع حتى لا يخجل الضيف أو من به حاجة، ويأكل من جوانب القصعة ولا يأكل من ذروتها، ويلعق الأصابع بعد الفراغ، ويحمد الله، ولا يذكر الموت عند الأكل لئلا ينغص على الحاضرين.

آداب الشرب

ينظر فى إنائه قبل شربه، ويسمى الله تعالى قبله، ويحمده بعده، ويمصه مصًا، ولا يعبه عبًا، ويتنفس فى شربه ثلاثًا، ويتبعه بالتحميد، ويرد بالتسيمة، ولا يشرب قائمًا، ويتناول من كان على يمينه إن كان معه غيره.

آداب الرجل إذا أراد النكاح

يطلب الدِّين، ثم بعده الجمال والمال إن أراده، ولا يشارط على ما يأتيه، ولا يضمره، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولايأذن فى إملاكه وعرسه بما يباعده من ربه ويزريه، ولا يجلس فى خلواته حيث يرى غيره حرمته، ولا يقبلها بين أهله،ويبدؤها إذا خلا فى سؤاله، ولا يكون سفيره كذابًا، ولا المخبر له نمامًا بل من خاصتها، ويسأله عن دينها ومواظبتها على صلاتها، ومراعاتها لصيامها، وعن حيائها ونظافتها، وحسن ألفاظها وقبحها، ولزوم بيتها، وبرها بوالديها، ويتلطف قبل العقد فى النظر إليها، وبعده بما يبلغها بالكلام الجميل. ويبحث عن خصال والدها ودينه، وحال والدتها ودينها وأعمالها.

آداب المرأة إذا خطبها الرجل

تأمر من تأمن به من أهلها إن كان صدوقًا أن يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته فى نفسه وصدقه فى وعده، وتنظر مَن أقرباؤه، ومن يغشاه فى بيته، وعن مواظبته على صلواته وجماعته، ونصيحته فى تجارته وصنعته، ويكون رغبتها فى دينه دون ماله، أو فى سيرته دون شهرته، تعزم معه على القناعة وتكون لأوامره مطيعة، فهو آكد للألفة، وأثبت للمودة.

آداب الجماع

طيب الرائحة، ولطافة الكلمة، وإظهار المودة، وتقبيل الشهوة، والتزام المحبة، ثم التسمية، وترك النظر إلى الفرج، فإنه يورث العمى، والستر تحت الإزار، وترك استقبال القبلة.

آداب الرجل مع زوجته

حسن العشرة، ولطافة الكلمة، وإظهار المودة، والبسط فى الخلوة، والتغافل عن الزلة، وإقالة العثرة، وصيانة عرضها، وقلة مجادلتها، وبذل المؤونة بلا بخل لها، وإكرام أهلها، ودوام الوعد الجميل، وشدة الغيرة عليها.

آداب المرأة مع زوجها

دوام الحياء منه، وقلة المماراة له، ولزوم الطاعة لأمره، والسكون عند كلامه، والحفظ له فى غيبته، وترك الخيانة فى ماله، وطيب الرائحة، وتعهد الفم ونظافة الثوب، وإظهار القناعة، واستعمال الشفقة، ودوام الزينة، وإكرام أهله وقرابته، ورؤية حاله بالفضل، وقبول فعله بالشكر، وإظهار الحب له عند القرب منه، وإظهار السرور عند الرؤية له.

آداب الرجل فى نفسه

لزوم الجمعة والجماعة، ونظافة الملبس، وإدامة السواك، ولا يلبس المشهور ولا المحقور، ولا يطيل ثيابه تكبرًا، ولا يقصرها متمسكنًا، ولا يكثر التلفت فى مشيته، ولا ينظر إلى غير حرمته، ولا يبصق فى حال محادثته، ولايكثر القعود على باب داره مع جيرانه، ولا يكثر لإخوانه الحديث عن زوجته وما فى بيته.

آداب المرأة فى نفسها

أن تكون لازمة لمنزلها، قاعدة فى قعر بيتها، ولاتكثر صعودها ولا اطلاعها الكلام لجيرانها، ولا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول، تسر بعلها فى نظره، وتحفظه فى غيبته، ولا تخرج من بيتها وإن خرجت فمتخبئة تطلب المواضع الخالية، مصونة فى حاجاتها، بل تتناكر ممن يعرفها، همتها إصلاح نفسها، وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصومها، ناظرة فى عيبها، متفكرة فى دينها، مديمة صمتها، غاضة طرفها، مراقبة لربها، كثيرة الذكر له، طائعة لبعلها، تحثه على طلبه الحلال، ولا تطلب منه الكثير من النوال،

ظاهرة الحياء، قليلة الخناء، صبورة شكورة، مؤثرة فى نفسها، مواسية من حالها وقوتها. وإذا استأذن بابها صديق لبعلها، وليس بعلها حاضرًا، لم تستفهمه، ولا فى الكلام تعاوده، غيرة منها على نفسها وبعلها منه.

آداب الاستئذان

المشى بجانب الجدار، ولايقابل الباب، والتسبيح والتحميد قبل الدق، والسلام بعده، وترك السمع إلى من فى المنزل، واستئذان بعد السلام، فإن أذن له وإلا رجع ولم يقف، ولا يقول: أنا، بل يقول: فلان، إذا استفهم.

آداب الجلوس على الطريق

غض البصر، ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، وإعانة الضعيف، وإرشاد الضال، ورد السلام، وإعطاء السائل، وترك التلفت، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالرفق واللطف، فإن أصر فبالرهبة والعنف، ولا يصغى إلى الساعى إلا ببينة، ولا يتجسس، ولا يظن بالناس إلا خيرًا.

آداب المعاشرة

إذا دخل مجلسًا أو جماعة سلم وجلس حيث امتنع وترك التخطى، وخص بالسلام من قرب منه إذا جلس، وإن بلى بمجالسة العامة ترك الخوض معهم، ولا يصغى إلى أراجيفهم، ويتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم، ويقل اللقاء لهم إلا عند الحاجة، ولا يستصغر أحدًا من الناس فيهلك، ولا يدرى لعله خير منه، وأطوع لله منه؛ ولا ينظر إليهم بعين التعظيم فى دنياهم؛ لأن الدنيا صغيرة عند الله، صغير ما فيها، ولا يعظم قدر الدنيا فى نفسه، فيعظم أهلها لأجلها، فيسقط من عين الله؛ ولا يبذل لهم دينه، لينال من دنياهم، فيصغر فى أعينهم؛ ولا يعاديهم، فتظهر لهم العداوة، ولا يطيق ذلك ولا يصبر عليه إلا أن تكون معاداة فى الله عز وجل، فيعادى أفعالهم القبيحة، وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة، ولا يستكثر إليهم فى مودتهم له، وإكرامهم إياه، وحسن بشاشتهم فى وجهه، وثنائهم عليه، فإنه من طلب حقيقة لك لم يجده إلا فى الأقل، وإن سكن إليهم وكله الحق إليهم فهلك، ولا يطمع أن يكونوا له فى الغيب كما له فى العلانية، فإنه لايجد ذلك أبدًا، ولا يطمع فيما فى أيديهم فيبذل لهم، ويذهب دينه معهم، ولا يتكبر عليهم، وإذا سأل أحدًا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد، وإن لم يقضها فلا يذمه فيكتسب عداوته، ولا يعظ أحدًا منهم إلا أن يرى فيه أثر القبول، وإلا عاداه ولم يسمع منه.

وإذا رأى منهم خيراً أو كرامة أو ثناء فليرجع بذلك إلى الله عز وجل. ويحمده ويسأله أنه لا يكله إليهم. وإذا رأى منهم شراً أو كلامًا قبيحًا أو غيبة أو شيئًا يكرهه، فيكل الأمر إلى الله تعالى، ويستعيذ به من شرهم، ويستعينه عليهم. ولا يعاتبهم، فإنه لايجد عندهم للعتاب موضعًا، ويصيرون له أعداء، ولا يشفى غيظه، بل يتوب إلى الله تعالى من الذنب الذى به سلطهم عليه، ويستغفر الله منه، وليكن سميعًا لحقهم أصم عن باطلهم.

آداب الولد مع والديه

يسمع كلامهما ، ويقوم لقيامهما، ويمتثل لأمرهما، ويلبى دعوتهما، ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولا يبرمهما بالإلحاح، ولايمن عليهما بالبر لهما، ولا بالقيام بأمرهما، ولا ينظر إليهما شزراً ولا يعصى لهما أمرًا.

آداب الوالد مع أولاده

يعينهم على بره. ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم، ولا يلح عليهم فى وقت ضجرهم ولا يمنعهم من طاعة ربهم، ولايمن عليهم بتربيتهم.

آداب الإخوان

الاستبشار بهم عند اللقاء، والابتداء بالسلام، والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس، والتشييع عند القيام، والإنصات عند الكلام. وتكره المجادلة فى المقال. وحسن القول للحكايات، وترك الجواب عند انقضاء الخطاب، والنداء بأحب الأسماء.

آداب الجار

ابتداؤه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عليه السؤال، ويعوده فى مرضه، ويعزيه فى مصيبته، ويهنيه فى فرحه، ويتلطف لولده وعبده فى الكلام، ويصفح عن زلته، ومعاتبته برفق عند هفوته، ويغض عن حرمته، ويعينه عند صرخته، ولا يديم النظر إلى خادمته.

آداب السيد مع عبده

لايكلفه ما لايطيق من خدمته، ويرفق به عند ضجره ولا يكثر ضربه، ولا يديم سبه فيجرأ عليه، ويفصح عن زلته، ويقبل معذرته، وإذا أصلح له طعامًا أجلسه معه على مائدته، أو أعطاه لقمًا من طعامه.

آداب العبد مع سيده

يأتمر لأمره، وينصحه فى غيبته، ويبذل له خدمته، ويحفظه فى حرمته، ويرق على ولده، ولايخونه فى ماله.

آداب السلطان مع الرعية

استعمال الرفق، وترك التعنيف، والفكر قبل الأمر، وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم، والتودد إلى العامة مع مزج الرهبة لهم، والتطلع على أمور الحاشية، واستعمال المروءة مع أهل العلم، والتوسعة عليهم وعلى الأصحاب والأقارب، والرفق فى الجناية، ودوام الحماية.

آداب الرعية مع السلطان

قلة الغشيان لبابه، وترك الاستعانة به إلا لشئ يلزم أمره، ودوام الهيبة له وإن كان ذا رفق، وترك الاستجراء عليه وإن كان ذا لين، وقلة السؤال وإن كان مجيبًا، والدعاء له إذا ظهر، وترك الكلام فيه والإنشاد إذا غاب.

آداب القاضى

إدمان السكوت، واستعمال الوقار، وهدوء الجوارح، ومنع الحاشية من الفساد والطغيان، والرفق بالأرامل، والاحتياط لليتيم، والتوقف فى الجواب، والرفق بالخصوم، ومنع الميل إلى أحد الخصمين، والمواعظة للمخالف، ودوام اللجإ إلى الله فى صواب القضاء.

آداب الشاهد

استشعار الأمانة، وترك الخيانة، والتثبت فى الشهادة، والتحفظ من النسيان، وقلة المجادلة للسلطان.

آداب الجهاد

صدق النية، والغيرة لله تعالى، وبذل المجهود، والسخاء بالمهجة، ونفى شهوة الرجوع، والقصد فى أن تكون كلمة الله هى العليا، وترك الغلول، وقضاء دينه قبل الخروج، واستصحاب ذكر الله عند القتال وفى كل حال.

آداب الأيسر

لا يؤمل فرجًا من غير الله تعالى، ولا يذل نفسه فى معصية الله تعالى، ولا ييأس من رَوْح الله تعالى، ويجمع همه بين يدى الله تعالى، ويعلم أنه بعين الله، ولا ينبسط فى مال العدو بما لايبيحه الله، ولا يفرغ إلى غير الله تعالى.

آداب جامعة

قال بعض الحكماء:

من الأدب: الق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة لهم، ولا هيبة منهم، وتوقر من غير كبر، وكن فى جميع أمورك فى أوساطها، ولاتنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات، ولاتقف على الجماعات، وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك، والعبث بخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال يدك فى أنفك، وطرد الذباب عن وجهك، وكثرة التمطى والتثاؤب. وليكن مجلسك هادئًا، وكلامك مقسومًا، واصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك، بغير إظهار عجب منك ولا مسكنة ولا إعادة، وغض عن المضاحك والحكايات، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جارتك، ولا تتصنع كما تتصنع المرأة، ولا تتبذل كما يتبذل العبد.

وكن معتدلاً فى جميع أمورك، وتوقَّ كثرة الكحل والإسراف فى الدهن، ولا تلح فى الحكايات.

ولا تعلم أهلك وولدك - فضلاً عن غيرهم - عن مالك؛ فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم، وإن رأوه كثيرًا لم تبلغ إلى رضاهم؛ وأحبهم من غير عنف، ولن لهم من غير ضعف.

وإذا خاصمت فتوفر، وتفكر فى حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تجث على ركبتك، وإذا هدأ غضبك فتكلم.

وإن بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر، ولا تأمن من انقلابه عليك، وارفق به رفقك بالصبى، وكلمه بما يشاء،وإياك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه ولو كان مستمعًا لذلك.

وإياك وصديق العافية، فإنه أحد الأعداء لك. ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك.

وإياك وكثرة البصاق بين الناس،فإن صاحبه ينسب إلى التأنيث، ولا تظهر لصديقك كل ما يؤذيك فإنه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة.

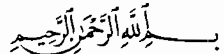
ولا تمازح لبيبًا فيحقد عليك، ولا سفيهًا فيجترئ عليك؛ لأن المزاح يخرق الهيبة، ويسقط المنزلة، ويذهب ماء الوجه، ويعقب الحزن، ويزيل حلاوة الود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفيه، ويميت القلب، ويباعد من الرب، ويعقب الذم، ويفسخ العزم، ويظلم السرائر، ويميت الخواطر، ويكثر الذنوب، ويبين العيوب.

نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن هدى، ويعافينا فيمن عافى ويتولانا فيمن تولى، ويبارك لنا فيما أعطى، ويقينا شرَّ ما قضى، فإنه لا راد لما قضى، ولايعزّ من عادى، ولا يذلّ من والى.

تبارك ربنا وتعالى، نستغفره ونتوب إليه، ونسأله أن يصلى بأفضل الصلوات كلها على عبده المصطفى، وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى، وسلم تسليمًا كثيراً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى، آمين.

كيمياء السعادة



الحمد لله الذى أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدة، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة، وحلى ألسنة المؤمنين بالذكر، وجلى خواطر العارفين بالفكر، وحرس سواد العباد عن الفساد، وحبس مراد الزهاد على السداد، وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات، وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات، وقبل أعمال الأخيار بأداء الصلوات، وأيَّد خصال الأحرار بأسدّ الصِّلات.

أحمده حمد من رأى آيات قدرته وقوته، وشاهد الشواهد من فردانيته ووحدانيته، وطرق طوارق سرّه وبرّه، وقطف ثمار معرفته من شجر سجده وجُوده، وأشكره شكر من اخترق واغترف من نهر فضله وإفضاله.

وأؤمن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه وأنبيائه وأصفيائه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه لأصلاب الفسقة والفجرة قاصمًا، ولعُرَى الجاحدين والمارقين فاصمًا، ولباغى الشك والشرك قاهرًا، لأتباع الحق والإحسان ناصراً؛ فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

عنوان معرفة النفس

اعلم أن الكيمياء الظاهرية لا تكون فى خزائن العوام وإنما تكون فى خزائن الملوك، فكذلك كيماء السعادة لا تكون إلا فى خزائن الله سبحانه وتعالى؛ ففى السماء جواهر الملائكة، وفى الأرض قلوب الأولياء العارفين، فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة

النبوة فقد أخطأ الطريق، ويكون عمله كالدينار البهرج، فيظن فى نفسه أنه غنىٌ وهو مفلس فى القيامة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]. ومن رحمة الله سبحانه وتعالى لعباده أن أرسل إليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبى يعلمون الناس نسخة الكيمياء، ويعلمونهم كيف يجلعون القلب فى كُور المجاهدة، وكيف يطهرون القلب من الأخلاق المذمومة، وكيف يؤدونه لطرق الصفاء كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. أى يطهرهم من الأخلاق المذمومة ومن صفات البهائم، ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم.

ومقصود هذه الكيمياء أن كل ما كان من صفات النقص يتعرى منه، وكل ما يكون من صفات الكمال يلبسه، وسر هذه الكيماء أن ترجع من الدنيا إلى الله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨]. وفضل هذه الكيماء طويل.

فصل فى معرفة النفس

اعلم أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. وقال النبى ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» وليس شىء أقرب إليك من نفسك، فإذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك؟

فإن قلت إنى أعرف نفسى، فإنما تعرف الجسم الظاهرى الذى هو اليد والرجل والرأس والجثة، ولا تعرف ما فى باطنك من الأمر الذى به إذا غضبت طلبت الخصومة، وإذا اشتهيت طلبت النكاح، وإذا جعت طلبت الأكل، وإذا عطشت طلبت الشرب؛ والدواب تشاركك فى هذه الأمور، فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة حتى تدرى أى شىء أنت، ومن أين جئت إلى هذا المكان، ولأى شىء خلقت، وبأى شىء سعادتك، وبأى شىء شقاوتك.

وقد جمعت فى باطنك صفات، منها صفات البهائم، ومنها صفات السباع، ومنها صفات الملائكة؛ فالروح حقيقة جوهرك وغيرها غريب منك وعارية عندك، فالواجب عليك أن تعرف هذا وتعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة؛ فإن سعادة البهائم فى الأكل والشرب والنوم والنكاح، فإن كنت منهم فاجتهد فى إعمال الجوف والفرج. وسعادة السباع فى الضرب والفتك، وسعادة الشياطين فى المكر والشر والحيل، فإن كنت منهم فاشتغل باشتغالهم. وسعادة الملائكة فى مشاهدة جمال الحضرة الربوبية وليس للغضب والشهوة إليهم طريق، فإن كنت من جوهر الملائكة فاجتهد فى معرفة أصلك حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الإلهية، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال، وتخلص نفسك من قيد الشهوة

والغضب، وتعلم أن هذه الصفات لأى شيء ركبت فيك، فما خلقها الله تعالى لتكون أسيرها ولكن خلقها حتى تكون أسراك، وتسخرها للسفر الذى قدامك، وتجعل إحداها مركبك والأخرى سلاحك حتى تصيد بها سعادتك، فإذا بلغت غرضك فقاوم بها تحت قدميك، وارجع إلى مكان سعادتك، وذلك المكان قرار خواص الحضرة الإلهية، وقرار العوام درجات الجنة، فتحتاج إلى معرفة هذه المعانى حتى تعرف من نفسك شيئًا قليلاً، فكل من لم يعرف هذه المعانى فنصيبه من القشور، لأن الحق يكون عنه محجوبًا.

فصل

إذا شئت أن تعرف نفسك فاعلم أنك من شيئين: الأول هذا القلب، والثانى يسمى النفس والروح. والنفس هو القلب الذى تعرفه بعين الباطن. وحقيقتك الباطن؛ لأن الجسد أول وهو الآخر والنفس آخر وهو الأول؛ ويسمى قلبًا، وليس القلب هذه القطعة اللحمية التى فى الصدر من الجانب الأيسر، لأنه يكون الدواب والموتى، وكل شيء تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذى يسمى عالم الشهادة، وأما حقيقة القلب فليس من هذا العالم، لكنه من عالم الغيب فهو فى هذا العالم غريب، وتلك القطعية اللحمية مركبة، وكل أعضاء الجسد عساكره وهو الملك، ومعرفة الله ومشاهدة جمال الحضرة صفاته، والتكليف عليه والخطاب معه، وله الثواب وعليه العقاب، والسعادة والشقاء تلحقانه والروح الحيوانى فى كل شيء تبعه ومعه. ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى، فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه لأنه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة، وأصل معدنه من الحضرة الإلهية، من ذلك المكان جاء وإلى ذلك المكان يعود.

فصل

أما سؤالك ما حقيقة القلب، فلم يجئ فى الشريعة أكثر من قول الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]. لأن الروح جزء من جملة القدرة الإلهية وهو من عالم الأمر، قال الله عز وجل: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فالإنسان من عالم الخلق من جانب، ومن عالم الأمر من جانب، فكل شيء يجوز عليه للمساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق؛ وليس للقلب مساحة ولا مقدار، ولهذا لايقبل القسمة، ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق، وكان من جانب الجهل جاهلاً ومن جانب العلم عالمًا، وكل شيء يكون فيه علم وجهل فهو محال. وفى معنى آخر هو من عالم الأمر؛ لأن عالم الأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه. وقد ظن بعضهم أن الروح قديم فغلطوا. وقال قوم إنه عَرَضٌ فغلطوا، لأن

العرض لا يقوم بنفسه ويكون تابعًا لغيره. فالروح هو أصل ابن آدم، وقالب ابن آدم نبع له، فكيف يكون عرضًا! وقال قوم إنه جسم فغلطوا، لأن الجسم يقبل القسمة. فالروح الذى سميناه قلبًا وهو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة.

ومعرفة الروح صعبة جدًا، لأنه لم يرد فى الدين طريق إلى معرفته لأن لا حاجة فى الدين إلى معرفته، لأن الدين هو المجاهدة والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. ومن لم يجتهد حق اجتهاد لم يجز أن يتحدث معه فى معرفة حقيقة الروح. وأول أس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب، لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد.

فصل

اعلم أن النفس مركب القلب، وللقلب عساكر كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلبًا لسعادته، وسعادته معرفة ربه عز وجل، ومعرفة ربه تعالى تحصل له من صنع الله وهو من جملة عالمه. ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا من طريق الحواس، والحواس من القلب والقالب مركبه، ثم معرفة صيده ومعرفة شبكته، والقالب لا يقوم إلا بالطعام والشراب والحرارة والرطوبة، وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش فى الباطن، وعلى خطر من الماء والنار فى الظاهر، وهو مقابل أعداء كثرة.

فصل

وتحتاج أن تعرف العسكرين؛ وذلك أن العسكر الظاهر هو الشهوة والغضب ومنازلهم فى اليدين والرجلين والعينين والأذنين وجميع الأعضاء؛ وأما العسكر الباطن فمنازله فى الدماغ وهو قوى الخيال والتفكر والحفظ والتذكر والوهم، ولكل قوة من هذه القوى عمل خاص، فإن ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم فى الدارين. وجملة هذين العسكرين فى القلب وهو أميرهما، فإن أمر اللسان أن يذكر ذكر، وإن أمر اليد أن تبطش بطشت، وإن أمر الرجل أن تسعى سعت، وكذلك الحواس الخمس حتى يحفظ نفسه كيما يدخر الزاد للدار الآخرة ويحصل الصيد وتتم التجارة ويجمع بذر السعادة، وهؤلاء طائعون للقلب، كما أن الملائكة طائعون للرب سبحانه وتعالى لا يخالفون أمره.

فصل فى معرفة القلب وعسكره

اعلم أنه قيل فى المثل المشهور: إن النفس كالمدينة، واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها، والقوة الشهوانية واليها، والقوة الغضبية شحنتها، والقلب ملكها والعقل وزيرها. والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله، لأن الوالى وهو الشهوة، كذاب فضولى مخلط، والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب، فإن تركهم الملك على ما هم عليه هلكت المدينة وخربت. فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالى والشحنة تحت يد الوزير، فإذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة وتعمرت المدينة. وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقيًّا فى الآخرة.

فصل

اعلم أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان، يحفظان أمر الطعام والشراب والنكاح لحمل الحواس. ثم النفس خادم الحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع البارئ جلت قدرته، ثم الحواس خادم العقل وهو القلب سراج وشمعة يبصر بنوره الحضرة الإلهية، لأن الجنة وهى نصيب الجوف أو الفرج محتقرة فى جنب تلك الجنة. ثم العقل خادم القلب، والقب مخلوق لنظر جمال الحضرة الإلهية. فمن اجتهد في هذه الصنعة فهو عبد حق من غلمان الحضرة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]. معناه أنا خلقنا القلب وأعطيناه الملك والعسكر، وجعلنا النفس مركبه حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين، فإذا أراد أن يؤدى حق هذه النعمة جلس مثل السلطان فى صدر مملكته، وجعل الحضرة الإلهية قبلته ومقصده، وجعل الآخرة وطنه وقراره، والنفس مركبه، والدنيا منزله، واليدين والقدمين خدامه، والعقل وزيره، والشهوة عامله، والغضب شحنته، والحواس جواسيسه. وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له أحوال العالم. وقوة الخيال فى مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده أخبار الجواسيس، وقوة الحفظ فى وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع الرقاع من يد النقيب ويحفظها إلى أن يعرضها على العقل، فإذا بلغت هذه الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها.

فإذا رأيت واحدًا منهم قد عصى عليك مثل الشهوة والغضب، فعليك بالمجاهدة، ولا تقصد قتلهما؛ لأن المملكة لا تستقر إلا بهما. فإذا فعلت ذلك كنت سعيدًا، وأديت حق النعمة، ووجبت لك الخلعة فى وقتها، وإلا كنت شقيًّا ووجب عليك النكال والعقوبة.

فصل

تمام السعادة مبنى على ثلاثة أشياء: قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطًا لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك؛ فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العدل دل على طريق الهداية. وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل، وإذا نقص ذهبت الغيرة والحمية فى الدين والدنيا، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة. وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور، وإن نقصت كان العجز والفتور، وإن توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك.

فصل

اعلم أن للقلب مع عسكره أحوالاً وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء، وبعضها أخلاق الحسن، فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة، والأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء، وهذه كلها تبلغ أربعة أجناس: أخلاق الشياطين، وأخلاق البهائم، وأخلاق السباع، وأخلاق الملائكة. فأعمال السوء من الأكل والشرب والنوم والنكاح هى أخلاق البهائم، وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والخصومة هى أخلاق السباع، وكذلك أعمال النفس وهى المكر والحيلة والغش وغير ذلك هى أخلاق الشياطين، وكذلك أعمال العقل التى هى الرحمة والعلم والخير هى أخلاق الملائكة.

فصل

واعلم أن فى جلد ابن آدم أربعة أشياء: الكلب، والخنزير، والشيطان، والمَلَك. والكلب مذموم فى صفاته، وليس بمذموم فى صورته. وكذلك الشيطان والملائكة ذمهم ومدحهم فى صفاتهم، وليس ذلك فى صورهم وخلقهم. وكذلك الخنزير مذموم فى صفاته، وليس بمذموم فى خلقته.

وقد أمر ابن آدم بأن يكشف ظلم الجهل بنور العقل خوفًا من الفتنة كما قال النبى ﷺ: **«مَا مِنْ أَحَد إلاَّ وَلَهُ شَيْطَانٌ وَلِى شَيْطَانٌ، وَإِنَّ الله قَدْ أَعَانَنى عَلَى شَيْطَانِى حَتَّى مَلَكْتُه»** وكذلك الشهوة والغضب ينبغى أن يكونا تحت يد العقل، فلا يفعلا شيئًا إلا بأمره، فإن فعل ذلك صح له حسن الأخلاق، وهى صفات الملائكة وهى بذر السعادة، وإن عمل بخلاف ذلك فخدم الشهوة والغضب صح له الأخلاق القبيحة، وهى صفات الشياطين وهو بذر الشقاء، فيتبين له فى نومه كأنه قائم مشدود الوسط يخدم الكلب والخنزير، وكان مثله كمثل رجل مسلم يأخذ رجالاً مسلمين يحبسهم عند كافرين. فكيف يكون حالك يوم القيامة إذا حبست الملك وهو العقل تحت يد الشهوة والغضب وهما الكلب والخنزير؟

فصل

واعلم أن الإنسان فى صورة ابن آدم اليوم، وغدًا تنكشف له المعانى فتكون الصور فى معنى المعانى؛ فأما الذى غلب عليه الغضب فيقوم فى صورة الكلب، وأما الذى غلب عليه الشهوة فيقوم فى صورة الخنزير؛ لأن الصور تابعة للمعانى، وإنما يبصر النائم فى نومه ما صح فى باطنه. وإنما عرفت أن الإنسان فى باطنه هذه الأربعة، فيجب أن يراقب حركاته وسكناته، ويعرف من أى الأربعة هو، فإن صفاته تحصل فى قلبه وتبقى معه إلى يوم القيامة، وإن بقى من جملة الباقيات الصالحات شىء فهو بذر السعادة، وإن بقى معه غير ذلك فهو بذر الشقاء، وابن آدم لا ينفك ولا ينفصل عن حركة أو سكون، وقلبه مثل الزجاج. وأخلاق السوء كالدخان والظلمة، فإذا وصل إليه ذلك أظلم عليه طريق السعادة وأخلاق الحسن كالنور والضوء، فإذا وصل إلى القلب طهره من ظلم المعاصى كما قال رسول الله ﷺ: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**». والقلب إما مضئ أو مظلم، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم.

فصل

واعلم أن الشهوة والغضب اللتين فى البهائم جعلتا أيضًا فى ابن آدم، ولكنه أعطى شيئًا آخر زيادة عليها للشرف والكمال، وبذلك تحصل له معرفة الله تعالى، وجملة عجائب صنعه، وبه يخلص نفسه من يد الشهوة والغضب وتحصل له صفات الملائكة، ولذلك يظفر بالسباع والبهائم وتصير كلها مسخرة له كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [الجاثية: ١٣].

فصل فى عجائب القلب

اعلم أن للقلب بابين للعلوم: واحد للأحلام، والثانى لعلم اليقظة، وهو الباب الظاهر إلى الخارج؛ فإن نام غلق باب الحواس، فيفتح له باب الباطن، ويكشف له غيب من عالم الملكوت ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء، وربما احتاج كشفه إلى شىء من تعبير الأحلام، وأما ما كان من الظاهر فيظن الناس أن به اليقظة وأن اليقظة أولى بالمعرفة مع أنه لا يبصر فى اليقظة شىء من عالم الغيب، وما يبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يبصر من طريق الحواس.

فصل

وتحتاج أن تعرف فى ضمن ذلك أن القلب مثل المرآة، واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضًا؛ لأن فيه صورة كل موجود؛ وإذا قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما فى إحداهما

فى الأخرى، وكذلك تظهر صور ما فى اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغًا من شهوات الدنيا، فإن كان مشغولاً بها كان عالم الملكوت محجوبًا عنه، وإن كان فى حال النوم فارغًا من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التى فى اللوح المحفوظ، وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال، لذلك يكون الذى يبصره تحت ستر القشر، وليس كالحق الصريح مكشوفًا. فإذا مات، أى القلب، بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس، وفى ذلك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال، ويقال له: ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ [ق: ٢٢].

فصل

واعلم أنه ما من أحد إلا ويدخل فى قلبه الخاطر المستقيم وبيان الحق على سبيل الإلهام، وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل يدخل فى القلب لا يعرف من أين جاء؛ لأن القلب من عالم الملكوت، والحواس مخلوقة لهذا العالم، عالم الملك، فلذلك يكون حجابه عن مطالعة ذلك العالم إذا لم يكن فارغًا من شغل الحواس.

فصل

ولا تظنن أن هذه اللطافة تنفتح بالنوم والموت فقط، بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة، وتخلص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة. فإذا جلس فى مكان خال وعطل طريق الحواس، وفتح عين الباطن وسمعه، وجعل القلب فى مناسبة عالم الملكوت، وقال دائمًا: «الله الله الله» بقلبه دون لسانه، إلى أن يصير لا خبر معه من نفسه ولا من العالم، ويبقى لا يرى شيئًا إلا الله سبحانه وتعالى، انفتحت تلك الطاقة، وأبصر فى اليقظة الذى يبصره فى النوم، فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء، والصور الحسنة الجميلة الجليلة، وانكشفت له ملكوت السموات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبى ﷺ: «**زُوِيَتْ لِى الأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا**» وقال الله عز وجل: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأنعام: ٧٥]. لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من هذا الطريق لا من طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٨]. معناه الانقطاع عن كل شئ، وتطهير القلب من كل شئ، والابتهال إليه سبحانه وتعالى بالكلية؛ وهو طريق الصوفية فى هذا الزمان. وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء، وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة، وكذلك علم الأولياء لأنه وقع فى قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥]. وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة، وإن لم تحصل بالذوق لم تحصل بالتعليم؛ والواجب التصديق

بها حتى لا تحرم شعاع سعادتهم، وهو من عجائب القلب. ومن لم يبصر لم يصدق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]. وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

فصل

ولا تحسب أن هذا خاص بالأنبياء والأولياء؛ لأن جوهر ابن آدم فى أصل الخلقة موضوع لهذا كالحديد لأن يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم، إلا الذى صدأ فيحتاج إلى إجلاء، أو جدب فيحتاج إلى صقل أو سبك، لأنه قد تلف، وكذلك كل قلب إذا غلب عليه الشهوات والمعاصي لم يبلغ هذه الدرجة، وإن لم تغلب عليه تلك الدرجة كما قال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ» وقال الله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وكذلك بنو آدم في فطرتهم التصديق بالربوبية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. والأنبياء والأولياء هم بنو آدم، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦]. فكل من زرع حصد، ومن مشى وصل، ومن طلب وجد. والطلب لا يحصل إلا بالمجاهدة ـ طلب شيخ بالغ عارف قد مشى فى هذا الطريق ـ وإذا حصل هذان الشيئان لأحد فقد أراد الله له التوفيق والسعادة بحكم أزلى حتى يبلغ إلى هذه الدرجة.

فصل
فى أن اللذة والسعادة لابن آدم فى معرفة الله سبحانه وتعالى

اعلم أن سعادة كل شيء ولذته وراحته ولذة كل شيء تكون بمقتضى طبعه، وطبع كل شيء ما خلق له؛ فلذة العين فى الصور الحسنة، ولذة الأذن فى الأصوات الطيبة، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة؛ ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى، لأنه مخلوق لها، وكل ما لم يعرفه ابن آدم إذا عرفه فرح به، مثل الشطرنج إذا عرفها فرح بها، ولو نهى عنها لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر. وكذلك إذا وقع فى معرفة الله سبحانه وتعالى فرح بها، ولم يصبر عن المشاهدة، لأن لذة القلب المعرفة وكلما كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر؛ ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير فرح، ولو علم الملك لكان أعظم فرحًا.

وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى، لأن شرف كل موجود به ومنه، وكل عجائب العالم آثار صنعته، فلا معرفة أعز من معرفته، ولا لذة أعظم من لذة معرفته، وليس منظر أحسن من منظر حضرته. وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهى تبطل بالموت، ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب فلا تبطل بالموت؛ لأن القلب لا يهلك بالموت بل تكون لذته أكثر وضوءه أكبر لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء.

فصل

واعلم أن نفس ابن آدم مختصرة من العالم، وفيها من كل صورة فى العالم أثر منه؛ لأن هذه العظام كالجبال، ولحمه كالتراب، وشعره كالنبات، ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب، وتفصيل ذلك طويل؛ وأيضًا فإن فى باطنه صناع العالم، لأن القوة التى فى المعدة كالطباخ، والتى فى الكبد كالخباز، والتى فى الأمعاء كالقصار، والتى تبيض اللبن وتحمر الدم كالصباغ. وشرح ذلك طويل، والمقصود أن تعلم كم فى باطنك من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك، وأنت فى غفلة عنهم، وهم لا يستريحون، ولا تعرفهم أنت ولا تشكر من أنعم عليك بهم.

فصل فى معرفة تركيب الجسد
ومنافع الأعضاء التى يقال عنها فى علم التشريح

وهو علم عظيم، والخلق غافلون عنه، وكذلك علم الطب. فكل من أراد أن ينظر فى نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها، يحتاج إلى معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الإلهية:

الأولى: أن يعرف أن خالق الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز، وهو الله سبحانه وتعالى. وليس عمل فى العالم بأعجب من خلق الإنسان من ماء مهين، وتصوير هذا الشخص بهذه الصورة العجيبة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ**﴾ [الإنسان: ٢]. فإعادته بعد الموت أهون عليه؛ لأن الإعادة أسهل من الابتداء.

الثانية: معرفة علمه سبحانه وتعالى وأنه محيط بالأشياء كلها؛ لأن هذه العجائب والغرائب لا تمكن إلا بكمال العلم.

الثالثة: أن تعلم أن لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالأشياء كلها، وأنها لا نهاية لها، لما ترى فى النبات والحيوان والمعادن فى سعة القدرة وحسن الصور والألوان.

فصل فى تفصيل خلقة بنى آدم
لأنها مفتاح معرفة الصفات الإلهية وهو علم شريف

وذلك معرفة عجائب الصنائع الإلهية، ومعرفة عظم الله سبحانه وتعالى وقدرته، وهو مختصر معرفة القلب. وهو علم شريف إذ هو معرفة الصنائع الإلهية، لأن النفس كالفرس، والعقل كالراكب، وجماعهما الفارس، ومن لم يعرف نفسه وهو يدعى معرفة غيره فهو كالرجل المفلس الذى ليس له طعام لنفسه وهو يدعى أنه يقوت فقراء المدينة، فهذا محال.

فصل

إذا عرفت هذا العز والشرف والكمال والجمال والجلال، بعد أن عرفت جوهر القلب أنه جوهر عزيز قد وهب لك وبعد ذلك خفي عنك، فإن لم تطلبه وغفلت عنه وضيعته كان ذلك حسرة عظيمة عليك يوم القيامة؛ فاجتهد في طلبه، واترك أشغال الدنيا كلها! وكل شرف لم يظهر في الدنيا فهو في الآخرة فرح بلا غمّ، وبقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، ومعرفة بلا جهل، وجمال وجلال عظيمان؛ وأما اليوم فليس شيء أعجز منه لأنه مسكين ناقص؛ وإنما الشرف غدًا إذا طرح من هذه الكيمياء على جوهر قلبه حتى يخلص منه شبه البهائم، ويبلغ درجة الملائكة، فإن رجع إلى شهوات الدنيا فضلت عليه البهائم يوم القيامة لأنها تصير إلى التراب، ويبقى هو في العذاب. نعوذ بالله من ذلك، ونستجير به، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.